المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد13 حزيران 2024
No.13 June 2024

ظاهرة تراسل الحواس في شعر أحمد مطر

م م. قصي حميد خيون عبيد الشبلاوي
تدريسي في كلية الآداب / جامعة الكوفة

الملخص :

من الأدوات المهمة التي يستخدمها الشاعر العربي في نصوصه الشعرية والتي أصبح لها مكانة كبيرة في الأوساط الأدبية، هي ظاهرة تراسل الحواس حيث هذه الظاهرة من خلالها الشاعر يستطيع ان يسقط كل الخصوصيات الوظيفية للأشياء بمعنى ان الوظيفة للعين لا تصبح النظر ربما تصبح للتذوق، حيث ان هذا الاشتباك للحواس او ان خلع وظيفة الشي او نسب وظيفة حاسة أخرى لحاسة معينة هذه الظاهرة هي من الظواهر التي ظهرت في الأوساط الأدبية قديماً وكانت موجودة في النصوص الشعرية بمجملها، لكنها اليوم ظهرت ايضاً بصورة واضحة في شعر شاعر حديث وهو الشاعر أحمد مطر، حيث ان احمد مطر يتجه بقوة إلى الانزياح في التركيب او مخالفة المألوف من جنبة نصوصه الشعرية؛ حتى يخلق صورة جميلة للمتلقي يثبت فيها شخصية أحمد مطر التي تفرد بها عن غيره، حيث نراه برز بصورة واعية وكبيرة في جانب الصورة البصرية المحولة إلى صوتية والعكس، ونحن نعلم بطبيعة الحال ان عقلية الإنسان تتجه نحو الأقرب لذلك جسد صورة الأقرب للعقل البشري وهي الصورة المرئية؛ حتى يصل بصورة كبيرة مؤثرة في نفسية المتلقي

كلمات مفتاحية : تراسل الحواس ، احمد مطر

:

المقدمة :

من الممكن ان نستعير صفة شيء لنصف بها شيء آخر وهذا يكون من جنبة إيجابيّة لأنه في الغالب الاستعارة تأتي لإضافة شيء جميل على الموصوف، وأن تراسل الحواس هي تجربة او مرحلة مرَّ بها الشاعر او فترة زمنيّة تمخّض عنها نتائج في نفس الشاعر او آثارفي مخيلته فالشاعر يحرك المفردات في سبيل اظهار اكبر قدرة للتأثير في المتلقي اذن((وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات ومدركات الحاسة الأخرى فتعطي المسموعات الواناً وتصير المشمومات انغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة)) (الجنابي، د. ت :ص١٣٤)

من خلال التعريف اعلاه نجد هناك تلاعب في الصورة الشعرية عند الشاعر هو من اهم الطرق التي تسهل على المتلقي مقاصد الشاعر وكذلك هي اسلم الطرق لإيصال مقاصد الشاعر إلى المتلقي وهذا أيضا يتناسب مع ان "المحسوس في النفس هو الحاس. فأما الهيولي فإن محسوسها غير النفس الحاسة، فإذن من جهة الهيولي المحسوس ليس هو الحاس"(ابن رشد، ١٩٥٠ :ص ١٧٩)

يعني ان محسوس النفس هو الحاس اما جهة الهيولي تخالف هذا النسق تصرح ان المحسوس ليس هو الحاس بمعنى هناك صراع في المحسوس والحاس ولذا " يجب أن نفهم أن الحاسة بوجه عام في كل إحساس هي القابل للصور المحسوسة عارية عن الهيولي كما يقبل الشَّمع طابع الخاتم بدون الحديد والذهب، فهو يقبل طابع الذّهب أو البرونز لا من حيث أنهما ذهب أو برنز والأمر كذلك في الحاسة التي تنفعل عند كل

محسوس بتأثير ما فيه من لون أو طعم أو صوت، لا بد من حيث أن كلا من هذه الأشياء يقال عنها إنها أشياء جزئية، بل من حيث إنها صفة معيّنة ومن حيث صورتها " (ارسطو طاليس، ١٩٤٩ : ٨٧ص)

أسئلة البحث :

- ـ هل استخدم أحمد مطر تراسل الحواس في شعره بشكل واضح ؟
- ـ هل كانت تجربة تراسل الحواس عنده لمقاصد واضحة؟
- ـ هل كان تراسل الحواس في شعره وصل مرحلة الإبداع؟

منهج البحث :

واضح جداً من خلال مطلع البحث انه قائم على المنهج التحليلي او المنهج الوصفي الذي يمتاز بتعمقه إلى أساسيات البحث والكشف عن كل مكوناته وهذا يتحقق من خلال دراسة النماذج الشعرية عندهما دراسة تحليلية و إيضاح تراسل الحواس في شعر وهاب شريف وصائب التبريزي دارسة مقارنة.

خلفية البحث :

كتبت دراسة تحت عنوان (ظاهرة تراسل الحواس في شعر ابي القاسم الشابي وسهراب سبهري) للباحثة زينب عرفت پور، ٢٠١٤.

توصلت من خلالها الباحثة إلى ان تراسل الحواس عند الشاعرين قد برز في شعرهما التوسع في الخيال وكذلك الصورة الشعرية من أجل إبراز أعلى مستوى فني

لتنبيه المتلقي ان يفتش في مقاصد الشاعر لأجل الوصول إلى أعلى مستوى من الجمال الفني كما اكدت الدراسة ان الشاعرين قد برز على طابعهما النجاح، كما كشفت الدراسة عن كسر الحواجز بين الإبداعات الشعرية. (عرفت، ٢٠١٤ :ص٥)

كما أُنجزت دراسة تحت عنوان (تراسل الحواس في ضوء القرآن الكريم، وظائف وجماليات) قدمها الباحث حميد عباس زاده، في مجلة دراسات اللغة العربية، في عام ٢٠١٥، حيث توصل من خلالها الباحث إلى نتائج عديدة اهمها ان ظاهرة تراسل الحواس في القرآن الكريم او في النصوص القرآنية قائم على حاسة اللمس، كما أن ا او التراسل استخدمه القرآن في كثير من المواقع وذلك لغرض التأثير او الوضوح في مقاصده او معانيه كما أن استخدم القرآن لتصوير العذاب والعقاب كذلك بالمقابل صور الاستمتاع في الجنة أراد القرآن بهذه الضدية هو تصوير المفارقة بين العذاب في جهنم والاستماع في الجنة .(عباس زاده، ٢٠١٥ :ص٩)

مصطلح تراسل الحواس :

ان الله سبحانه وتعالى أعطى للإنسان خمسة حواس وهذه الحواس دورها مختلف عند الإنسان فنجد مثلا حاسة الذوق تختلف تماماً عن حاسة السمع وايضاً حاسة النظر تختلف عن الاثنين بهذا تشكل عند الإنسان مزيج من الوظائف التي تقدمها هذه الحواس وان تعدد الوظائف يتم حسب الدور الذي تقدمه الحاسة مثلاً الموسيقى مدرك سمعي ينتمي إلى وظيفة السمع من خلال هذا النسيج تبرز أهمية تراسل وهو ابدا وظائف الأشياء بمعنى ان الشيء مرئي أصبح شي محسوس وان الشيء المسموع أصبح شيء له طعم اومذاقق، بهذا نستطيع ان نستعير مثلا نقول وجه طيب وهذا ما يسمى تراسل الحواس (ينظر: زينب عرفت، ص٤ : ٢٠١٤)

نبذة عن حياة أحمد مطر :

ولد أحمد مطر في محافظة البصرة في مدينة التنومة تحديداً وهذا كان في عام ١٩٥٤ عاش في مدينة التنومة حتى أتم طفولته فيها، حيث كان له عشرة اخوه وهو الرابع بينهم، هذا كان قبل ان يبدأ مرحلة جديدة في محلة الأصمعي التي انتقل إليها مع أسرته. (ينظر : عماد حامد، ٢٠٢٢ : ص٧)

كان في العراق غير مسموح له في كتابة الشعر بالصورة التي يريدها؛ لذلك بحث عن بيئة يستطيع فيها ان يعبر عن تصوراته الشعرية لذلك ذهب إلى الكويت فوجد أيضا جريدة القبس فعمل فيها أيضا و من خلالها بدأ يوصل صوته لأنه كان يعمل رسام جريدة القبس. (ينظر، نور الدين، ٢٠٢٢:ص ٧)

توطئة :

كل نص شعري هو صورة منبعثة عن تصورات الشاعر لظاهرة معينة دون النظر لهذه الظاهرة كيف تكون او من اي نوع؛ لأنه الصورة هي واقعة في جميع النصوص الشعرية او القصائد الشعرية، حيث ان منذ الأزل جميعنا نشاهد ان الشاعر يلجأ إلى تداخل الحواس؛ حتى يأخذها مجال خصب لتعبير عن صوره او مقاصده، حيث ان هذا التداخل يوفر للشاعر مساحة للتأثير في المتلقي؛ لأنه طبيعة العقل تتجه للأقرب حيث العقل يعتمد على المذاق اكثر من المرئي ويعتمد على المرئي اكثر من المسموع، من هذا المنطلق اتخذ شاعرنا أحمد مطر مجال للانزياح في التصوير او في ابدال وظائف الأشياء، ومن هذه الانزياحات واشهرها في شعر أحمد مطر هي الصورة الصوتية المحولة إلى مرئية والعكس، مجال للتعبير عن ابرز اهم الظواهر والتصورات في شعره.

الصورة الصوتية إلى بصرية والعكس :

«ومـا من شـك في أن تبادل الحـواس لمواضعها له دلالة إيحائيـة قوية تنبعث من السياق الشعري، وربما يستمر تراسل الحواس كي يؤكد الصورة ويضيف إليها جديداً.» (الخياط، ٢٠١٢م: ١٦٣)

من خلال التوضيح أعلاه نلاحظ ان تبادل الحواس داخل الصورة الشعرية ليس من الأمور التي يعتمدها الشاعر فقط لجمالية النص الشعري او القصيدة، بل لمتعلقات مرتبطة بمقاصد الشاعر او لتسهيل الأمر للشاعر؛ لأنه هذه الانزياحات او التبادل غي في الحواس يعبر من خلاله الشاعر بصورة أجمل اكثر تأثير في المتلقي او باب أجمل للشاعر حتى يغير الصورة في الشكل الذي يراه أجمل للتأثير وهذا ما ورد في شعر أحمد مطر :

بلبلٌ غرد

اصغت وردةٌ

قالت لهُ : اسمع في لحنكَ لوناً

وردةٌ فاحت

تملئ بلبلٌ

قال لها المح في عطركِ لوناً. (أحمد مطر ، ١٩٨٨ :ص ١٨٥)

يبدأ الشاعر في قصيدته باللجوء إلى الطبيعة، هذا يجسد مشكلة في نفس الشارع يحاول الهروب منها وهذا هو نهج المذهب الرومانسي؛ حيث يعالجون الأزمات او المشاكل التي يتعرض لها الشاعر بالهروب إلى الطبيعة؛ حيث يحسها الشاعر متنفسه الوحيد الذي يشكوا اليه همومه وآلامه.

حيث نلاحظ ان تراسل الحواس عند الشاعر هنا يبدأ مع مطلع القصيدة حيث في مقطع (اسمع في لحنك لوناً) تبرز ظاهرة تراسل الحواس بشكل سافر، حيث يبدأ الشاعر الشاعر في التلاعب بوظائف الحواس خصوصاً عندما يبدل بين وظيفة السمع والبصر في المقطع من القصيدة، نحنُ نعلم ان اللون نشاهده في العين المجردة ولا نسمعه لكن الشاعر بدل في القصيدة بين وظائف الحواس.

حيث هذا يعود لمقاصد خاصة في مخيلة الشاعر أراد أن يوصلها بهذه الطريقة.

هتف الحائط يكفي رأسك اندق

وقلبي تحت رجليك انفطر

انت مظطرٌ

تمرد.. (احمد مطر، ١٩٩٨ :٢١٥)

من مطلع القصيدة نلتمس توجه الشاعر حول استنطاق الجمادات وهذا غير المألوف وليس هذا فقط بل يحول كل خصائص الأشياء او صفاتها في المقطع الشعري حيث يظيف صفة الانفطار التي هي من البديهيات ان تمون ملازمة للجدران لكن هنا جعلها صفة ملازمه لقلبه كما جسد هيكلية الجدار بانه انسان ينطق وله جميع الصفات التي يتمتع بها الفرد.

هنا نلاحظ صورة واضحة من صور ظاهرة تراسل الحواس عند احمد مطر من خلال المقطع اعلاه كما لاحظنا كيف استطاع ان يغير في صفات الأشياء من الصورة الصوتية إلى البصرية وعلى العكس وهذا الأمر يجسد مقصداً في مخيلة الشاعر اراد من خلاله ان هذا التلاعب ايصاله بطريقة أعمق، حيث ان جعل المتلقي في دائرة الانزياح يجعل الشاعر مأثراً أكثر لان كل شي خارج عن المألوف يجذب الفرد.

اسمعُ ورداً هاتفاً للقنفذ الفاطس

نفديك يا خايس

(أحمد مطر، ١٩٩٨ :٢٣٤.)

اراد الشاعر ان يصور ظاهرة معينة في مخليته وهي ظاهرة التمجيد المفرط دون استحقاق او دون سبب مقنع يجعل الفرد ينفجر ممجداً، حيث ان عنوان القصيدة هو (الأمل الاخير) وهذا العنوان بدوره يجسد ظاهرة الهروب إلى الطبيعة لان هذا النسق الذي يكمله الشاعر بعد العنوان هو نتيجة انفجار الشاعر من الوضع المزري خصوصاً جميعنا نعرف ان أحمد مطر بطبيعته هو يذم في أغلب قصائده الحكومة نتيجة ما يشاهده كل يوم من رعونة وتعسف في جميع مفاصلها.

هنا نشاهد تراسل الحواس عند الشاعر أحمد مطر على مستوى هذه الأبيات حيث غير صفات الأشياء عندما قال ان الورود سمعتها تهتف وهذا يخالف طبيعة وخصوصية الأشياء عندما نشاهد هذا التلون او التلاعب في الصور الشعرية لان الورود من الصور المرئية او لها الحق ان تكون من الصور المشمومة؛ لأنها لها رائحة تسجل لها صفة من خلال الشم او حاسة الشم، وهذا بدوره اتى من الشاعر نتيجة ظاهرة معينة أراد

ان يوصلها الشاعر إلى المتلقي وهي ظاهرة هذه المواطنين التي وصفها بالورود من المخزي و المحزن ان تهتف لهكذا مسؤول نتن

اوقفتني ثورة واقفة فوق الطوار

حلفت بالشعب ان تنقلني بالطائرة

ثم من بعد سنين أقبلت معتذرة

لعنة الله على النسيان

(أحمد مطر، ١٩٩٨ :٢٢٥)

كما عرفنا من النصوص السابقة ميول أحمد مطر ينصب في جانب معارض في اغلب اشعاره لذلك يتجه نحو الرمز في مخاطبة الحكومات في صورة غير مباشرة لكن بأسلوب هادف؛ لذلك نراه هنا يبدأ قصيدته في جعل الثورة كائن حي له كل الصفات والخصائص التي يملكها الإنسان وهذا ما اختلف عند المتلقي في النص الشعري، هنا تبرز خاصية تراسل الحواس حيث هنا نلاحظ الصورة الصوتية المتجسدة في الثورة محولة إلى صورة بصرية نلاحظها في اعيننا، وهذا يجسد حالة الشاعر التي اردا من خلالها إيصال فكرة او صورة خاصة.

الصورة

فكلما الحبر بكى

ثغر المصائب أبتسم

وكلما الجرح شكا

على الملامة التأم (المصدر نفسه : ص ٢٤١)

يُكمل النص الشعري أعلاه مسيرة أحمد مطر او لونه الشعري الذي اعتاده في شعره حيث جسد هنا صورة واضحة من خلال تحريك الأشياء او جعلها صورة سمعية بعد أن كانت صورة مرئية نبصرها دون صوت او لغة تفهمنا بها، لكن هنا اختلف نسق الشاعر في صورته حيث جسد لنا صورة من صور تراسل الحواس وهي الصورة المرئية المحولة إلى صورة سمعية وهذه هي صورة من صور تراسل الحواس التي قدمها الشاعر بشكل يخالف صفته الأصلية،

قائمة المصادر والمراجع :

- الجنابي، أحمد نصيف. لاتا. في الرؤيا الشعرية المعاصرة. الجمهورية العراقية: وزارة الإعلام. خورشا، صادق. ١٣٨٨ش. مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه. تهران: ص١٣٤
- ابن رشد، أبو الوليد: تلخيص كتاب النّفس لابن رشد، ترجمة د. أحمد فؤاد الاهواني، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠، ص١٧٩
- 1) أرسطو طاليس: كتاب النّفس، ترجمة . أحمد فؤاد الأهواني،، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي) الحلبي وشركاه، ط1949 ،1، ص 87.

- زينب عرفت، ٢٠١٤، ((ظاهرة تراسل الحواس في شعر ابي القاسم الشابي وسهراب سبهري) نشرفي، إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)السنة الرابعة – العدد الخامس عشر - خريف١٣٩٣ش / أيلول٢٠١٤مصص ٧٩ ـ ٦١
- حميد عباس زاده، (تراسل الحواس في ضوء القرآن الكريم، وظائف وجماليات)، ٢٠١٥، بحث نشر في مجلة دراسات للغة العربية
- د/ نور الدين زين العابدين متولي أحمد أستاذ النقد الأدبي والبلاغة مساعد- قسم اللغه العربية بكلية الآداب – جامعه الإسكندرية، قدم مقال تحت عنوان، طمس الذات في شعر أحمد مطر العدد :٢٧. سنة ٢٠٢٢
- عماد حامد عبيس، ثنائية العدل والظلم في شعر أحمد مطر، قسم اللغة العربية، جامعة بابل، سنة ٢٠٢٢، ص ٧
- حسين خياط عفاف إبراهيم. ٢٠١٢م. رثاء الأب في الشعر العربي الحديث. لامک: رسالة جامعية مقدمة لنيل درجة الماجستير، ص ١٦٣
- احمد مطر، ديوان الشاعر أحمد مطر، طبع في بغداد، ٣١٤ – سنة - ٢٠١٧